صميم المشروع الصهيوني ـ الاسرائيلي، والقناعة الاميركية المتوارثة، بالاهمية الاستراتيجية لما يعرف بالحلف الاميركي ـ الاسرائيلي، تتضاعف أهمية العنصر النفسي، والى الحد الذي يرفض معه الكثيرون حتى المناقشة العقلانية، هازين برؤوسهم قائلين: قد تتنازل اسرائيل عن أي حق تدعيه، وقد تعلن قبولها بأي حق من حقوق الشعب الفلسطيني الثابتة، الاّ حق العودة، فهذا من المستحيلات!!

ولما كنا لا نرى عودة «الفلسطيني» الى وطنه من المستحيلات، وإنْ طال الزمن، فاننا، تمهيداً للمناقشة العقلانية، نعطي مثلاً واحداً نستقيه من جدول الانتصارات لا الهزائم ـ كما هي العادة ـ وفي هذا المثال نرى كيف انتصر النضال الفلسطيني على الاعلام الصهيوني ـ الاسرائيلي في الساحة الاميركية نفسها، وفي موضوع يعتبر من أكثر المواضيع متاهة، ألا وهو: «الرأي العام الاميركي في القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني». ومن أجل ايضاح التطوّر في طبيعة الرأي العام الاميركي ـ وهو الذي كان خاضعاً وما زال لسيطرة الفكر الصهيوني ـ الاسرائيلي، نتوقف، عند أبرز المحطات منذ عقد الخمسينات الى يومنا هذا.

تحدث مؤسس جامعة بيرزيت، موسى ناصر، في احدى محاضراته، عن زيارة قام بها مع وفد فلسطيني الى الولايات المتحدة الاميركية اثر انشاء اسرائيل بثلاث سنوات، وكان ذلك في أوائل عقد الخمسينات، ففوجئوا بالعدد الكبير من الحضور؛ اذ جاء مراسلون لأكثر من ثمانين صحيفة واذاعة، واستمع هؤلاء، ظاهرياً، بكل اهتمام لكل كلمة قيلت عن مأساة الشعب الفلسطيني والظلم الفادح الذي لحق به، وعن حقوقه المشروعة في وطنه. وانتهى المؤتمر. وتصوّر المحاضر وزملاؤه، انه لو نشر نصف هؤلاء بعضاً مما سمعوه، لكان في هذا نصر للقضية. غير أنهم في الأيام التالية اكتشفوا ان صحيفة واحدة، لم تنشر كلمة واحدة، أو اشارة واحدة، الى المؤتمر. كان التجاهل تاماً، وكأن المؤتمر لم يكن[١٢].

وفي أوائل عقد الستينات، قام الفنانان الفلسطينيان اسماعيل شموط وتمام الأكحل بزيارة الى الولايات المتحدة الاميركية، وكانت تلك هي المرة الاولى التي يدعى فيها فنانون من فلسطين لعرض لوحاتهم. وكانت الدعوة من قبل الطلاب العرب. وتمكن الفنانان، فعلاً، من اقامة عدد من المعارض في ولايات مختلفة وسط التجمّعات العربية، غير انهما جوبها بمعارضة شديدة من قبل الطلاب اليهود والجمعيات اليهودية، الى الحدّ الذي لم يسمح لهما باقامة المعارض داخل حرم الجامعات، باستثناء كلية جامعية واحدة قال عميدها للطلاب العرب: «سوف أسمح لكم باقامة المعرض، فهذه أول مرة تتاح لنا في اميركا ان نشاهد فناً فلسطينياً، بل هذه أول مرة نستمع فيها الى الرأي الآخر». وكان هذا العميد «الجريء» أميركياً يهودياً[١٣].

وفي خريف العام ١٩٧٤، قُبلت منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في الجمعية العامة للامم المتحدة، وأصبحت، منذ ذلك العام، ترسل وفوداً لحضور الجلسات العامة في كل دورة تناقش فيها القضية الفلسطينية، فساهمت مشاركة الفلسطينيين بأعمال المنظمة الدولية في اثارة اهتمام وسائل الاعلام الاميركية بالقضية الفلسطينية، غير ان هذا لم يكن يعني، بالضرورة، التأييد أو قول الحق؛ اذ ان صورة الفلسطيني الفدائي لم تكن في تلك المرحلة الا صورة ارهابي قاتل، وإنْ يكن تمّ الاعتراف من قبل عدد من كبار الكتاب الاميركيين بانجازات المنظمة، باعتبارها «خلقت هوية فلسطينية جديدة، ووضعت الفلسطينيين على خريطة العالم»[١٤].

منذ اندلاع الانتفاضة في ١٩٨٧/١٢/٩، أخذت الصورة عن الفلسطيني الارهابي